راشد حسين... ملامح من حياته وشخصيته

د. حسني محمود حسين

مأساة النشأة الأولى

عندما حاقت النكبة بالوطن في منتصف عام ١٩٤٨ لم يكن راشد بلغ الثانية عشرة من عمره، ولم يكن أنهى الصف الثالث الابتدائي في مدرسة إحدى القرى المجاورة لقرية (مصمص)، قريته المغمورة في بداية منطقة المثلث. فقد كان والده حسين محمود إغباريه بشر بابنه البكر في يوم الاثنين ١٩٣٦/١٢/٢٨، إبان الثورة الشعبية في فلسطين. وسمي ذلك المولود «حاتم»[١]، وسجل خطأ في شهادة الميلاد باسم «راشد»، وبه عرف، وان ظل ينادى بين أهله باسمه الأسبق «حاتم». ويبدو أن خلو القرية من المدرسة، دليل صغرها وضآلة مركزها آنذاك، وظروف الحرب العالمية الثانية قد أخرا إطلالة راشد على نعمة الحرف وعالم الكلمة المكتوبة سنتين، حيث لم يلتحق بمدرسته الأولى إلا وهو ابن تسع سنوات. وكان يذهب كل يوم مشياً إلى مدرسته في قرية «أم الفحم» ليتعلم مع قرويين آخرين يكبرونه سناً وبوسائل بدائية[٢]. وهكذا نستطيع أن ندرك كيف يمكن أن يكون ذهن الصبي عند وقوع النكبة خالياً من معنى الكارثة الوطنية وآثارها وأبعادها. ومع ما يمكن أن يكون لحق بالتعليم والدراسة بين العرب في الأرض المحتلة، بعد النكبة مباشرة من تعطل وإهمال، كما سنشير فيما **بعد**. فقد تابع راشد دراسته **الابتدائية**، وكان يقضي معظم وقت فراغه بعد المدرسة في دكان والده في القرية، حيث يلتقي بالقرويين الكبار، ويستمع إلى أحاديثهم وتهامسهم حول موضوعات حياتهم: الاحتلال والدولة الجديدة الغريبة، ومصادرتها أراضي القرية، ونسف بعض القرى في فلسطين، وتجاهل السلطات مطالب أهالي القرية بنقل معسكرات تدريب الجيش من حول القرية بسبب ما يلحق قريتهم كل يوم من أضرار وخسائر نتيجة التدريبات العسكرية، الأمر الذي نمّا اهتمامه بالنماذج التاريخية وبمجريات الأحداث السياسية.

وإذا كان لا بد لمثل راشد أن يقع تحت تأثير بيئته القروية في منطقة المثلث التي كان يتحكم في حياة سكانها قدر من الجهل والعلاقات الأسرية إلى حد كبير، فإن انتقال